



شاعرية هاشم الرفاعى

الشاعرية تتكون من مجموعة من العناصر التى يتوصل بها الشاعر الى مستوى معين فى الاداء الشعري ، الذى يميزه عن غيره من الشعراء . وهذا معناه أن لكل شاعر شاعريته الخاصة به ، كما أن لكل إنسان شخصيته المستقلة . ومع ذلك ، فإننا إذا تلمسنا عناصر الشاعرية أمكن أن نلخصها فيما يلى :

الموهبة الشعرية ، والتقنيك الشعري ، والمرسالة الشعرية

1- الموهبة الشعرية

معظم الناس يحبون الشعر. والكثير منهم حاول في مطلع حياته أن يكتب شعرا، أو ما اعتقد أنه شعر، ولكنهم مالبثوا أن وجدوا ماكتوبه عاديا أو ضعيفا، فانصرفوا عنه، منهمكين في حياتهم العملية، أو في هوايات أخرى.. لكن القليل والقليل جدا هم الذين يصرون على الاستمرار في كتابة الشعر، ومحاولة الإجابة فيه، مدفوعين بقوة داخلية، نابعة من أعماقهم، وبصوت خفى يتردد في وجدانهم، يؤكد لهم أنهم إنما خلقوا ليكونوا شعراء.. وعلى الرغم من صعوبة الطريق، وكثرة العوائق، فإنهم يندفعون فيه بلا هوادة، مضحين بكل ما يملكون: بالجهد والوقت وجميع الآمال والملاذات الأخرى من أجل إرضاء تلك الرغبة القوية في كتابة الشعر، والوقوف على باب، بل واستجداء لحظاته الخاطفة، التي تحلق بهم في فضاء لا يعرفه سائر البشر، ويمنحهم القدرة على الكتابة بعبثية لا تكلف فيها، وبساطة لا تعقيد فيها. ويدهشنا في الشاعر الموهوب أننا نجلس معه فنجد حديثه مألوفا، وأفكاره شائعة، ولكنه عندما يطلعنا على إحدى قصائده نجد أنه كأنما استمدّها من عالم مغاير لعالمنا، وما أشبهه بالغواص الذي يتركنا على الشط ليرتاد أعماق البحر مفتشا عن لؤلؤة نادرة، ليخرجها لنا باهرة ومتألقة.

والموهبة هي التي تجعلنا نفرق بين الشعر المطبوع والنظم المصنوع. فهناك العديد من الأشخاص الذين يمكنهم كتابة "الشعر" في أي وقت، وفي أي غرض. وقد يكون هذا الشعر موزونا مقفى، ومتمشيا مع القواعد والمعايير المعروفة في علم العروض، ولكنه يظل خاليا من الروح، أو ما يمكن أن نطلق عليه "النفس الشعرية" الذي ينساب بسهولة ويسر، وينتقل من الشاعر إلى قلوب الناس فيجدون له صدق، ويحسون معه برعشة.

2- المتكنيك الشعري

هو الأسلوب الذي يتعود الشاعر على استخدامه في كتابة قصائده، بدءا من افتتاحية قصائده والمعجم اللغوي الذي يفضل، ومرورا بالتركيبات الشعرية للجمل والعبارات، وبأساليب الحكى، والحوار، وتعدد الشخصيات داخل القصيدة، والانتهاة بخاتمتها. ومن المعروف أن لكل قصيدة معمارها الخاص بها. وهي أشبه بالبنائية التي يصممها المهندس، أو بقطعة الحلوى التي ينفذها الصائغ، ينبغي أن يوضع كل جزء في مكانه، متماسكا بانسجام تام مع ما يجاوره، ثم لابد للكل أن يبدو على أفضل نحو ممكن.

ومن الواضح أن المتكنيك الشعري يتطلب القصد، وإتقان الصنعة، والجهد المبذول. وهي أمور قد تتناقض مع ما سبق أن ذكرناه عن الموهبة. والواقع أن التناقض ظاهري فقط، فالموهبة هي التي تتيح اللحظة المناسبة، وتزود الشاعر بالروح الدافع والجناح المحلق، لكن المتكنيك يظل من صميم عمله الخاص، وجهده الشخصي. وما أكثر الشعراء الذين لم يعطوا لهذا العنصر الهام مكانه فلم تستمر موهبتهم طويلا، وسرعان ما تلاشوا كشعراء مجيدين.

المشاعر يستطيع أن يطور باستمرار أسلوبه الشعري، وأن يجود أداءه تبعاً لما يطلع عليه، أو يقتنع به من تطور في الحركة الشعرية لعصره.. وفي لحظات ليست بالقليلة، تمد الموهبة الشعرية صاحبها ببعض الإنجازات التي تساعده على أداء عمله. فكثيراً ما يجد الشاعر - أثناء كتابة القصيدة - بعض العبارات تجرى على قلمه دون قصد، أو بعض الخيالات والصور تتشكل دون تدخل منه. وفي أحيان أخرى، قد يبدأ الشاعر بكتابة الجزء الأخير من القصيدة قبل أن يشرع في كتابة مطلعها.. وهكذا فإن التبادل بين الموهبة والتقنيك الشعري غير مقطوع، كلما أخلص الشاعر لفنه وأعطاه كل جوارحه، جادت عليه الموهبة بالكثير من هداياها..

3- الرسالة الشعرية

لكل أديب أو عالم دوره في تقدم الإنسانية، كما أن لكل إنسان دوره في الحياة. والشعراء يتفاوتون فيما بينهم تبعاً للدور الذي يقوم به كل منهم، والرسالة التي يسعى لتوصيلها إلى الناس. ومهما تحدثنا عن أهداف الأدب والشعر، فإن هدف التغيير للأفضل.. سوف يظل هو أسمى الأهداف، لكننا نلاحظ أن بعض الشعراء يغلب على دورهم المطابع السياسي، أو الأخلاقي، أو الديني، أو العاطفي، ومنهم من يبرز لديه النقد الاجتماعي، أو الرفض للواقع أو التمرد على الأوضاع السائدة، ولما شك أن الشاعر في هذه المستوى لا يمكن فصله عن عصره، والبيئة التي تحيط به، وهذا ما يجعلنا نعترف بأن الشاعر مهما حلق عالياً وبعيدا عن مجتمعه فإنه - في نهاية الأمر - مرتبط به، مشدود إليه بالكثير من الخيوط التي لا يمكنه الفكك منها.

وإذا كان لهذا الارتباط بين الشاعر وبيئته بعض المزايا، فإن له جوانب أخرى سلبية، فقد تكون مشكلات المجتمع من النوع الذي يطفئ عن العناصر الأخرى لشاعرية الشاعر. ويحضرني هنا ما شاع في الشعر العربي من مفاخرات ومناظرات بين الشعراء، اقتضتها ظروف عصرهم وغطت بالتالي على مواهب شعراء من أمثال جرير والفرزدق.. ونفس الأمر ينطبق - من ناحية أخرى - على المتنبي، الذي بدد جزءاً كبيراً من قواه الشعرية الرائعة في مديح ورثاء من كان يستحق، ومن لم يكن أهلاً لذلك من أبناء عصره.

لكن الشاعر الكبير هو الذي يستطيع أن يسيطر على أدواته بحيث يوجهها إلى نوع الرسالة التي يريد توصيلها للناس، سواء في عصره أو لمن يأتي بعده. وكلما اتسمت تلك الرسالة بطابع إنساني أصيل اتسع نطاق تأثيرها، واستمر إشعاعها لأطول فترة ممكنة، لذلك فمن حقنا دائماً أن نتساءل - بعد قراءة كل أديب - ماذا يريد أن يقول لنا؟

فإذا اقتربنا بعد هذه المحاور الثلاث من شاعرية هاشم الرفاعي، لاحظنا على الفور أن قصائده التي كتبها في مرحلة مبكرة من عمره، تتميز بتلك الموهبة الشعرية التي تناسب في سهولة ويسر، وترتفع عن المحاولات المتعثرة لدى من يحاولون كتابة الشعر في مطلع حياتهم، بل إنه يسعى إلى محاكاة كبار الشعراء العرب القدامى في قصائدهم الشهيرة، مما يدل على احساسه بامتلاك تلك الموهبة

نقرأ له قصيدة يرثي بها والده في 27/8/1949 (عمره حينئذ خمسة عشر عاماً) كتبها على وزن وقافية قصيدة شهيرة لمالك بن الرريب مطلعها :

أمن المذنون وريبها تتوجع
والدهر ليس بمعتب من يجزع

يقول هاشم :

أمن المصايب وعظمه تتوجع
والعين منك سيولها لا ترفع
يا ليتها تجدى إذا لرايتها
بحراً عجاجاً من عيون ينبع
* * *

أبتاه ، شعري لست أملك غيره
ماذا عساي سوى الرثاء سأصنع
أبتاه ، قد ظلموا فتاك فنبني
ما ذنب بالك قد جفته الأدمع
ولئن تنم العين عن حزن المفتى
فالحزن أقسى في القلوب وأوجع
أبتاه ، إنا مؤمنون وإنا
لقوى سلطان المنية نخضع
فاذهب عليك من الإله تحية
ما بدد الظلماء فجر ساطع
وعزاًؤنا أن سوف يجمعنا الفنا
بك ، فالفناء مفرق ومجمع

صحيح أن المستوى الفني هنا متوسط ، ولكنه بالنسبة إلى شاعر لا يزيد عمره عن خمسة عشر عاماً يكشف عن تمكن واعد من الأداء الشعري العربي الأصيل ، ويشير إلى وعى بأهم سماته وعناصره . فهو يعالج الحكمة في قوله (الحزن أقسى في القلوب وأوجع) و (إنا لقوى سلطان المنية نخضع) و (الفناء مفرق و مجمع) ، كما أنه يستخدم أسلوباً نحويًا ، قلماً يجيده إلا كبار الشعراء في قوله :

فاذهب عليك من الإله تحية
ما بدد الظلماء فجر ساطع

وهكذا نجد هاشم الرفاعي يخطو منذ البداية بقدم ثابتة على طريق الشعر العربي ، حتى قبل أن يتلقى عنه دراسات عميقة و موسعة في كل من الأزهر ، و دار العلوم .

وعلى طريق حافظ إبراهيم ، شاعر النيل ، في قصيدته "العمرية" يقول هاشم الرفاعي - وعمره حينئذ ستة عشر عاماً - في ذكرى المولد النبوي :

أما العيون فطول الهجر يبكيها
و الدمع يلعب درا في مآقيها

هذا هو المكون في ديجور ظلمته
يحكى ذئابا وشاة زام راعيها
فذو العشيرة والأنصار، ترهبه
كل البرية قاصيها و دانيها
يسطو على الحق، لا قانون يمنعه
ولما شريعة يخشى بأسى قاضيها
أما الضعيف فمغبون وليس له
في الأرض عون يقيه شر باغيها
والكل يشرب كأس المآثم في طرب
وينثنى حين يأتي منكرا تيه
كانت مآثمهم في عرفهم مرحا
والقتل في شرهم قد كان ترفيها
هذي مبادؤهم أيام دولتهم
الزور ينشرها، والمآثم يملئها
حتى أضاعت بمولود لآمنة
أرجاء مكة وانجابت دياجيها

وفي السابعة عشرة من عمره، يكتب هاشم الرفاعي في ذكرى المولد النبوي أيضا:
أديرا على سمعي اليراع المثقبا
ولما تمنعاني أن ألدو أطربا

وبعد مقدمة غزلية على عادة شعراء فن المدائح النبوية، يقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

أتى بكتاب فيه للخلق عزة
فساء قريشا ما أتاه وأغضبا
عجبت لهم إذ يركنون لغيهم
وأكثرت مما قد أتوه المتعجبا
وكذبه الأغرار إذ قام داعيا
وقد كان ذا صدق لديهم مجربا
وكم حاولوا في الأرض إطفاء نوره
فلا شمس غابت، ولما ضوؤه خبا
يقولون : داع ينشد الملك و الغنى
لقد كذبوا، ما رام بالدين منصبا
ولم يبتغ الجاه العريض لدي الورى
ولما شاء أن يحيا أميرا معصبا
ولكنه يدعو إلى خير سمحة

ويمحو ضلالا أفسد الناس أحقبا

وفى سن التاسعة عشرة ، يحاكى هاشم الرفاعي أمير الشعراء أحمد شوقي ، فى قصيدته الذائعة "الهمزية" المتى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

جيد المظبا والمقلة الحوراء
هذان يا قلبى هما الغرماء
أما الوليد فكان منقذ أمة
وثنية ، لعبت بها الأهواء
جاء المضيء لمن مضوا فى غيهم
وعلى العيون غشاوة سوداء
هذا النهار تطاحن و تشاجر
والليل كأس ثرة و نساء
أما القلوب فقد تنافر ودها
حتى تفشت بينها البغضاء
ونفوس قوم إذ أراد شفائها
بهدي حكيم دونه الحكماء
فأعد للأمر الجليل محمدا
إن العظام كفوها العظماء

لقد حاولت بإراد هذه الأمثلة أن أثبت توافر الموهبة الشعرية لدى هاشم الرفاعي منذ وقت مبكر ، وأن هذه الموهبة لم تكن ضعيفة ولما مؤقتة ، وإنما كانت قوية ومتمكنة ، وكل ما كانت تحتاجه هو خروج صاحبها من حدود قريته الصغيرة ، إلى فضاء العاصمة ، وتزوده -بالإضافة إلى قواعد العلوم العربية - بثقافة واسعة ومتنوعة . ومن حسن حظ هاشم الرفاعي أن كلا الأمرين قد حدث له . وبمجرد حدوثهما ، أخذ إنتاجه الشعرى فى التطور ، والتحديث ، وتجربة أشكال جديدة مع تمسكه فى نفس الوقت بروعة الصياغة العربية الأصلية .

لم يكتب هاشم الرفاعي الشعر الحر ، بل إنه رفضه بكل حسم ، فقال مخاطبا أنصاره :

أيها المهاتفون بالشعر حرا
ولكم دعوة به طنانه
قد أتيتم له بنهج غريب
يفرض اليوم بينكم سلطانه
وهجرتم تواض المتنبى
وأبنتم بعلمكم نقصانه
وتشددتموا بزخرف قول
عن مفاهيم نمقتها الرطانه
ثم قلتم من الحياة كلاما
ومن الواقع استمد كيانه
ليس شعرا ، وإنما هو شئ
فوقه الشعر رتبة ومكانه
ذهبت عنه روعة الحون
يرهف الدهر عندها آذانه
وخلأ من أصالة وجلال
بهما أظهر الزمان افتتانه
إنه أبصر الحياة سقيما
حاملا فى يمينه أكفانه
أيعيش الوليد والداء يمشى

بين جنبيه ناشرا سرطانه

وبعد أن أثبت قدرة الشعراء المبدعى على تناول كل موضوعات الحياة فى إطار الشعر العربى التقليدى - العمودى - يقول:

لا أنادى بأن تحاكوا زهيرا
فيه ، أو أن تقلدوا حسانه
راج عهد الوقوف بالطلل المباكى
فلا تذكروا به سكانه
جددوا ما استطعتموا فى المعانى
وقفوا ، لا تحطموا أوزانه
ليست الفكرة الجديدة تأبى
عرضها فى جزالة ورصانه
ألبسوها من القوافى خلودا
ومن الموزن قوة ومثانه
لا تحيطوا تراثنا بلهيب
فى غد ، تكره العيون دخانه
كل نهج أتى ليستر عجزا
نتقيه ، ونزدرى بهتانه
رب ، إنى على المقديم مقيم
وأعد الخلاص منه خيانه

وهكذا ظن هاشم الرفاعي أنه سيقوم على القديم ، لكن التطور الذى كانت تشهده بيئته فى كل مجالات الحياة ، ومنها الشعر ، دفعته إلى بعض التجديد . ومن يدرى لو طال به العمر بعد الثلاثين أو الأربعين ، إلى أى مدى كان سيمضى ؟ !
وفى قصيدته " وصية لاجئ " يقول على لسانه فى المقطع الأول:

أنا يابنى غدا سيطوينى الغسق
لم يبق من ظل الحياة سوى رمق
وحطام قلب عاش مشبوب القلق
قد أشرق المصباح يوما واحترق
فإذا نفضت غبار قبرى عن يدك
ومضيت تلتمس الطريق إلى غدك
فاذكر وصية لاجئ تحت التراب
سلبوه آمال الكهولة والشباب

وعلى هذا النسق ، الذى يخرج عن إطار الملتزام بالقافية الموحدة فى سائر القصيدة ، يتحرك هاشم الرفاعي فى إطار أكثر سعة ، وتنوعا ، يتلائم مع هذا اللون الجديد من الشعر ، الذى يمكن أن نصفه بأنه مرحلة وسط بين الشعر التقليدى - العمودى ، والشعر الحر .
(يتكون المقطع من تسعة أبيات ، كل بيت يحتوى ثلاث تفعيلات ، الأبيات الخمسة الأولى بقافية المقاف ، والسادس والسابع بقافية المكاف ، والثامن والتاسع بقافية المياء .)

وفى قصيدة "الجزائر الماثرة" نجد التطوير يتقدم خطوة أخرى ، فلا يكتفى هاشم الرفاعي بتغيير القوافى ، وإنما أيضا يراوح بين عدد التفعيلات :

بهواك ، بالدم فوق تربك يا جزائر
يجرى وينبع من حشاشة كل نائر

بشهادتك الملقى على سفح المجازر
بالمسخط يغلى فى القلوب وفى الحناجر
بالرابضين على القمم
المثائرين على الظلم
سنفجر الأضواء من تلك المدياجر
وتسيل أفراس الحياة على الجزائر

(المقطع مكون من ثمانية أبيات ، الأربعة الأولى بثلاث تفعيلات ، وباقية الراء ، والخامس والسادس بتفعيلتين اثنتين فقط ، وباقية الميم ، والسابع والثامن بثلاث تفعيلات ، وباقية الراء ، ويلاحظ أن القوافى ستتغير أكثر من ذلك فى المقاطع التالية من القصيدة .)

لقد سبق أن أشرت إلى تلك العلاقة التبادلية بين الشاعر وبيئته ، وأنه مهما حاول الفكك منها فإنه لن يستطيع التخلص من حبائها التى تشده إليها . وأضيف هنا : إن البيئة المتطورة لا ترضى إلا بشاعر متطور .

إننا الآن فى قلب التكنيك الشعري لدى هاشم الرفاعي ، وإذا أردنا التلخيص قلنا إنه حافظ على شكل القصيدة العربية فى مراحلها الأولى ، لكنه بدأ يخطو بعد ذلك على أرضه الخاصة به ، وسوف نلاحظ بوضوح تقليله من استخدام لغة التراث الشعري القديم ، وكذلك كليشيهاته المحددة .. وأصبح يغترف مباشرة من لغة الحياة المعاصرة .

ولنقرأ معا هذين النموذجين : الأول مثال لغلبة محاكاة القدماء ، حيث يقول فى قصيدة بعنوان (حوار :)

بعينيك ما أصمى الفؤاد وما أصبى
وحبك ما أغرى بى الأمل الجدى
وهجرىك ما أحسسته فى جوانحي
لهيبا ، وما ألقاه فى أضلعي كريبا
ليالى من حولى فراغ ووحشة
وبيداء من شوق ضللت بها الصحبا

والنموذج الثانى لتعبير الشاعر عن نفسه بلغته هو :

شكرى إليك يسوقه قلبى ولما
يجدى لسانى فيه يا "فريال"
لى أمنيات ، كان فوزى واحدا
منها ، فهل تتحقق الآمال

وبعد اللغة ، يأتى معمار القصيدة ، الذى أخذ هو الآخر ينسلخ من الشكل التقليدى إلى أشكال أخرى جديدة ، تتمثل فى التهيئة المسرحية لموضوع القصيدة ، كما يبدو أوضح أمثلتها فى "رسالة من أفريقية" التى تبدأ بوصف الغابة وما يغلفها من ضباب ، وما تهيئه من سيادة القوى على الضعيف ، ثم يأخذ بطل القصيدة فى الحديث عن نفسه وعن القوى الاستعمارية التى تترصده من ناحية ، وتتأهب لابتلاع المقارة الواحدة بعد ذلك . وفى قصيدة "وصية لاجئ" يتحدث الأب إلى ابنه ، وفى "رسالة فى ليلة التنفيذ" يتحدث الدابن

المنتظر لحظة إعدامه إلى والده ، وفى "أغنية أم" تتحدث إلى وليدها ، مرضعة إياه الجراح مع اللبن .. وفى قصيدة "بطولة حب" يجيب بطل القصيدة على سؤال حبيبته حول السبب فى إنهاء قصة حبهما بأنه مشغول عنها بهوم الوطن ..

ولما شك أن هذه الزوايا المتعددة لبناء القصيدة قد أتاح لهاشم الرفاعي فرصة الخروج من الشكل التقليدي للقصيدة العربية ، إلى أشكال متنوعة ، جاءت متمشية مع روح العصر الذى عاش فيه .. إن استخدام الشخصيات المتعددة ، والحوار ، والعبارة المقتطعة من الذكريات ، إلى جانب لغة حية ، وطازجة ، وقريبة فى بعض الأحيان من اللهجة العامية ، ذات الدلالات الكامنة فى النفوس ، كل ذلك جعل قصائد هاشم الرفاعي تتميز بطابع خاص ، ويصبح من السهل التعرف عليه من خلالها . وتلك من أهم علامات الشاعر الجيد .

كذلك ينبغى ألا نغفل عن أن البيئة الثقافية التى عاش فيها هاشم الرفاعي كانت بيئة سماعية ، تهتم بالإنشاد الشعري أكثر مما تهتم بقراءة الشعر فى دواوين .. ولما شك أن تلك البيئة تنعكس بالضرورة على شكل وموضوعات القصائد . فالشاعر حريص على أن يعجب مستمعيه ، والجمهور من جانبه متعطش إلى الجملة الشعرية المدهشة ، وأحيانا إلى "المقفلة" التى يتجاوب فيها من خلال التصفيق مع الشاعر . ولذلك سوف نرى فى العديد من قصائد هاشم الرفاعي تلك الجمل الشعرية المدهشة ، وتلك "المقفلات" التى تستثير أحاسيس الجمهور ، وتنتزع تصفيقهم

لكن يبقى دائما عنصر الصدق فى التجربة الشعرية ، الذى يتمكن من إحداث التواصل بين الشاعر وجمهوره ، وكما نعلم جيدا أن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذان !
والآن : ما الرسالة الشعرية لهاشم الرفاعي ، أو بتعبير أكثر بساطة : ماذا أراد أن يقول لنا ؟؟
الواقع أن رسالة هاشم الرفاعي كانت انعكاسا لمرحلة وطنية ، شهدت فيها مصر سياسيا : التحول من النظام الملكى إلى النظام الجمهورى ، واجتماعيا : انتهاء عصر الإقطاعيات والألقاب وبداية عصر الملكيات الصغيرة والإحساس بالمساواة (صدور قانون بإطلاق لقب السيد على جميع المواطنين بلا استثناء) ، وتنمويا

: محاولة بناء اقتصاد وطنى ، يتم الاعتماد فيه على الذات ، تجنباً لآثار التبعية للغرب ، وقوميا : الدعوة الملهمة إلى القومية العربية والوحدة ، والرغبة فى عدم الوقوع تحت السيطرة أى من المعسكرين اللذين كانا يقتسمان العالم فى الخمسينات : المعسكر الرأسمالى ، والمعسكر الاشتراكى وذلك عن طريق تبني سياسة مستقلة ، تمثلت فيما سمي حينئذ بسياسة عدم الانحياز ، التى تبلورت معالمها فى مؤتمر باندوج

قد كانت الطموحات كبيرة ، والآمال عريضة ، واستطاع الزعيم جمال عبد الناصر أن يلهب مشاعر أبناء الوطن العربى من المحيط إلى الخليج ضد الاستعمار وأهوانه من الإقطاعيين وأصحاب رؤوس الأموال ، وأن يحشد الكراهية للغرب الذى امتص ثروات الشعوب

العربية على مدى عشرات السنين ، وقد آن الأوان أن يحمل عصاه ويرحل..

كان إحساس كل مصرى ، وكل عربى أن أمتهم مقبلة على عصر مجيد ، تحتل فيه مكان الصدارة بين الأمم الكبرى ، التى تقودنا أن تتبع ، التى تفرض إرادتها ، لا أن يملأ عليها شئ .. وكانت أجهزة الإعلام المصرية قوية وعالية ، إلى حد أنها لم تفسح المجال لأى إعلام آخر أن يقدم للمواطنين الوجه الآخر من الصورة ..

فى هذا الجو المشحون بالتحدى ، والمخارج لتوه من الإحساس بالمقهر ، والمتطلع لغد واسع مشرق ، كتب هاشم الرفاعى قصائده .. حيا الثورة المصرية ، وناصر كل ثورة عربية أو إفريقية ضد المستعمر وأنظمتها الفاسدة التى أقامها لتنفيذ أغراضه .. واعتنق الحرية ، وما يرتبط بها من الإحساس بالعزة والكرامة ، مذهبا لا يحيد عنه .. ورجع لماضيه ، فوجد فيه صفحات مشرفة من الكفاح ، واعتمد على الإسلام مخرجا من أزمات الواقع ، ومدخلا طبيعيا لآفاق المستقبل .. وإذا كان هناك دهر طويل قد مضى على الأمة العربية ، وهى متخلفة عن ركب الحضارة ، فلا بد أن تستنهض العزائم للأخذ بوسائل النهضة ، التى تقوم على دعائمين هما : العلم و الإيمان ..

أين نحن اليوم من ركب الألى
وطدوا للعلم هذى الطنبا
سخروا الذرة ، بل قد أوشكوا
أن ينالوا فى السماء الكوكبا
يا بنى الإسلام هبوا وانهضوا
لا تناموا ، بلغ المسيل المزبى
واذكروا عهدا سمت أمجادكم
فيه حيناً ، إذ سموتم رتبا
رب سيف صارم ذى نبوة
وجواد سابق يوما كبا

والخلاصة أن الرسالة الشعرية لدى هاشم الرفاعى يمكن أن تتمثل فى : الانتماء الوطنى العميق لمصر ، ومناصرة قضايا الحرية ، والكرامة للأمة العربية ، والإيمان الجازم بأن الإسلام هو ملأنا الأمة ، وسبب نهضتها فى عصورها الأولى ، كما أنه مفتاحها الرئيسى للنهضة الحالية .

